أين أنا والياسمين؟

١- لهفة

استأذنتُ بسرعة من صديقتي على برنامج الدردشة:

- معذرة. إخوتي يلحُّون في الضغط على جرس الباب.

عدتُ بعد لحظات، وقلتُ لصديقتي:

- لا أعرف لماذا هم متلهفون على دخول البيت هكذا. مللتُ فيه سنواتي التي تجاوزت الثلاثين. أحلم بالخروج إلى بيت آخر، أي بيت.

يبدو أن صديقتي لم تجد شيئًا تقوله لي، أو على الأقل كانت تتردد في قول كلام تظن أنه سيجرح مشاعري بهجومها على إخوتي، واكتفت بقول:

- ربنا سيعوِّضكِ كثيرا.

واستأذنتْ منِّي لتوقظ ابنتها الكبرى وتعطيها الدواء في موعده. أسرعتُ إلى الباب لأفتح لسارقي البهجة.

٢- حبيسة الخدمة

هل تعتقدين أنَّ أحدًا سيهتمُّ بي بعد أن مات أبي؟ لا إخوتي ولا زوجاتهم، وأمي لا حولَ لها ولا صوتَ. كلهم يريدونني أن أبقى لأخدم أمي وأخدم أطفالهم. إخوتي رفضوا أكثر من عشرين عريسًا حتى قبل أن يَروهُم. الأسبوع الماضي تقدَّم لخطبتي دكتور بالجامعة. رفضه أخي حتى قبل أن يسأل عنه. قال لي:

- أكيد به عيب، وإلا ما الذي يدفع دكتورًا لأن يترك زميلاته وطالباته الشابات ويأتي لخطبة واحدة حاصلة على معهد عالٍ مثلكِ؟

لم أستطع أن أقول شيئًا. قلتُ لنفسي:

- أخي الأكبر وربما كانت زلة لسان.

لكنه أكد:

- ما الذي يدفعه لذلك؟

هممتُ أن أرفع ابنه الجالس في حِجْري وأزيحه بعيدًا، لكن ما ذنبه؟ يحبُّني أكثر من أمه وأبيه. وما الذي يمكن أن أفعله؟ أَبْتَلِعُ كلامَهم في صمتٍ ومرارةٍ. لا يا صديقتي. لا يصحُّ. كيف يمكنني أن أقول لهم ذلك. سيعتبرونني قليلة أدب إذا قلتُ لهم إن لي الحق في الزواج ولا يمكنني أن

أظل حبيسة خدمتهم هكذا. أنا شخصيًّا لا أرى في ذلك قِلَّةَ أدبٍ. لكنهم سيروننني كذ... أغلقي المسنجر بسرعة. ها هي دقاتهم على الباب تدق كنذير شؤم. أغلقيه تمامًا ونكمل كلامَنا عندما يخرجون غدًا.

٣- صهيل

استغفري ربك يا إيمان. فأنتِ لا تطلبين الموت إلا هربًا من الحياة مع الجالسين أمامك الآن. يجلسون بكلِّ برودٍ. سيد يدفن رأسه في مِسْبَحَتِه كأنَّ الأمر لا يعنيه تمامًا ولا يقوى على أن يرفع نظره في وجهكِ. وعادل لا يترك عيبًا إلا ويُلصقه بالعريس الذي لم يره. سامي يدفع عجلات كرسيه المتحرك ويدير لكِ ظهره. صحيح من خشوا الفضيحة ماتوا قَهْرًا وخِزْيًا وذُلًا، وأنتِ لستِ أقل من "صهيل": عندما عاندها إخوتُها ورفضوا كل عرسانها هددتْهم بالفضيحة إن لم يزوجوها بالعريس الذي جاء لخطبتها، معلنةً أمامهم أنها ستقبله دون أن تعرفه أو تعرف اسمَه أو شكلَه أو رسمَه أو صفتَه نكايةً بهم، ولرفضهم كل من سبقوه، وتيمُّنا بالخروج من السجن حتى لو تخبَّطتْ خطواتها على بداية طريق الحرية. قولي شيئًا. لا تظلي صامتة

هكذا. في كل مرة تسمعين كلامهم ثم يخرجون معلنين رفضهم للعريس المتقدم. هيا! لماذا تصمتين؟ يا الله! توكلتُ على الله:

- انظروا يا إخوتي، ليستْ وقاحةً أو قلةَ أدبٍ، لكنكم لا تحبون إلا أنفسكم؛ وإن لم أحب نفسي سأموت بلا مقابل. إذا رفضتم هذا العريس سأذهب إلى بيته وأفضحكم أمام القرية كلها. سأقول له إنكم كذَّابون وإنكم لم تستشيروني وإنني أوافق عليه. ومن يقف في طريقي سأقتله.

طبعا لا يجدون كلاما يقولونه. ها هو الذهول يكسوهم ولا يستطيعون أن يتكلموا بكلمة واحدة. ها ها! أين أنا والياسمينُ منذ زمن؟!

١٠ و٢٣ يناير ٢٠١١